دفاع عن زواج الرسول محمد ﷺ بالسيدة عائشة رضي الله عنها في الكتابات الغربية المعاصرة

ليليا شنتوح: أستاذة محاضرة "أ"
كلية العلوم الإسلامية-جامعة الجزائر 1

الملخص

دأب الغرب المسيحي منذ عقود سحيقة على تشويه صورة الرسول محمد ﷺ، واتهامه بأقذع الأوصاف والنعوت، وقد أثمرت هذه الصور تراكمات ومخزونا من ثقافة الكراهية والحقد ضد نبي الإسلام ورسالته وشاعت مكونات هذه الصور وترسبت وتكلست في كثير من ميادين الثقافة والفكر والإعلام لدى الغربيين في الفترة المعاصرة، ولعل من أبرز هذه الصور التي لا تزال تكنه كثير من الدوائر الفكرية والإعلامية والثقافية الغربيى في الوقت المعاصر هو صورة زواج النبي محمد ﷺ وهو في سن الخمسين بالسيدة عائشة رضي الله عنها وهي في سن التاسعة واتهامه بناء على ذلك بأنه مغتصب أطفال.

من هنا نريد من خلال هذا المقال إبراز الصورة الصحيحة لشخصية الرسول ﷺ وحقيقة زوجه بالسيدة عائشة رضي الله عنها، وأن نميط الغشاء عن المغالطات التي كانت ولا تزال تدسها أقلام كثير من المؤلفين الغربيين من خلال تحليل مضامين بعض خطاباتهم والرد عليها.

Abstract

Exposed Prophet Muhammad peace be upon him at the time of contemporary campaigns fierce by the Western world vindictive against Islam, whether through fees Rakaturiao animation, such as what happened in Denmark, Norway or through websites, has won the Prophet Muhammad peace be upon him of these campaigns fullest extent of attempts to undermine and distortion, and this is the purpose of spreading hatred in the hearts of the people of Western Islam and the Prophet Muhammad peace be upon him.

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه، وبعد:

أثار موضوع زواج النبي محمد ﷺ بالسيدة عائشة رضي الله عنها وهي في سن صغيرة لغط وانتقاد بعض المفكرين الغربيين في العقود الأخيرة، فظهرت العديد من الكتابات البلجيكية والبريطانية والأمريكية التي تناولت هذه القضية بالتحليل والمناقشة، منها ما كتبه الأستاذ اتيان فيرميرش البلجيكي (Etienne Vermeersch)[1]، في بعض مؤلفاته ومواقعه الإلكترونية[2] وحصصه التلفزيونية، وما أشار إليه القس جيري فاينس - من الكنيسة المعمدانية، وما صرح به البريطاني أرغون جانير (Ergun Caner) [3] في مؤلفه الموسوم ب"Unveiling Islam: An Insider's Look at Muslim Life and Beliefs " وغيرهم كثير [4]، حيث دارت كتاباتهم وتصريحاتهم كلها حول نقطة محورية وهي أن محمد ﷺ قدم مثالا سيئا للإسلام لما أقدم على الزواج بعائشة رضي الله عنها وهي لا تزال فتاة صغيرة لا يتعدى عمرها التسع سنوات.

والأفضع من ذلك هو محاولة تقريبهم بين صورة هذا الزواج وصور الاعتداءات الجنسية على الأطفال القصر في العالم، فقالوا بناء على ذلك أنه مغتصب أطفال ، وقد استلوا من أحداث السيرة النبوية العطرة بعض الوقائع مجردة عن سياقها التاريخي الصحيح، ووضعوها في قالب خيالي، وأظفوا عليها مقدارا كبيرا من التهويل والتضخيم لتوليد النفور والاشمئزاز في النفوس، وانخرطوا إلى أبعد مدى في محاولة التجريح والانتقاص والتشويه لشخص الرسول محمد ﷺ وزوجه عائشة رضي الله عنها ، فقدموا للرأي العام الغربي صورة جديدة عن هذا الزواج مصبوغة بالأكاذيب والأراجيف، وكان عمدتهم في ذلك التشكيك فيما ورد في السنة والتاريخ الإسلامي من أحكام وأحداث ومغالطتها.

وبالمقابل ظهرت بحوث موضوعية أخرى، حاولت تزييف هذه الافتراءات حول مسألة زواج الرسول ﷺ بالسيدة عائشة رضي الله عنها والرد عليها بموضوعية، وهذا ما قام به بعض المفكرين الغربيين أمثال المفكر الباحث البلجيكي ميشال داردين (Michel Dardenne) [5]، والأستاذ دينيس سبيلبرغ (Denise Spellberg) من جامعة أوستن في أمريكا،والباحثة كولين تورنر (Colin Turner) من جامعة دورهام في بريطانيا، وكارن أرمسترونغ (Karen Armstrong) وغيرهم..

وهنا أود أن أشير إلى صعوبة تتبع كل آراء الكتاب الغربيين سواء البلجيكيين والبريطانيين والأمريكيين في بحث موجز ومركز كهذا، لهذا سنتتبع أهم الآراء التي أمكننا الوقوف عليها من خلال بعض مؤلفاتهم ومقالاتهم، ومحاولة معرفة الصورة التي حاول هؤلاء الكتاب تشكيلها عن زواج الرسول محمد ﷺ في المتخيل الغربي.

ولهذا نروم من خلال هذا المقال أن نصحح الأغلاط التي كتبها الحاقدين على رسول الإسلام وزوجه عائشة رضي الله عنها، وأن نميط الغشاء عن المغالطات التي كانت ولا تزال تدسها أقلام كثير من المؤلفين الذين نهلوا من مدرسة الاستشراق الفكرية من خلال تحليل مضامين بعض خطاباتهم والرد عليها ،بالرجوع إلى السيرة النبوية العطرة لرسولنا الكريم، وانطلاقا من شهادات العلوم الحديثة وشهادات مفكري هذا العصر من أبناء جلدتهم، وبحكم اهتمامي بالكتابات الغربية حول الإسلام رأيت أن أكتب في هذا الموضوع من خلال هذا البحث والذي عنونته بـ" دفاع عن زواج الرسول محمد ﷺ بالسيدة عائشة رضي الله عنها في الكتابات الغربية المعاصرة " من خلال ما يلي:

أولا: تاريخية الاهتمامات بسيرة الرسول محمد ﷺ في الكتابات الغربية

تعود الجذور التاريخية الأولى لاتهامات الرسول محمد ﷺ بالشبق الجنسي إلى القرن السابع عشر حيث ألف هامفري بريدو Prideaux كتابا أسماه حياة محمد المخادع، وملأه بالأكاذيب والأباطيل، وكان من أبرز هذه الأكاذيب اتهامه بالاباحية المفرطة، قائلا: « كان الشطر الأول من حياة محمد يتسم بالإباحية الشديدة والآثام العظام.. » [6] ، وفي هذا يقول المستشرق الدنماركي فرانتس بول[7] :«إن محمد يبدو لنا بصورة مثيرة للاشمئزاز حين يجعل الوحي في خدمة شبقه الجنسي.. » [8] ، ويقول تورنا أندريا في كتابه "محمد":« إن السمة التي نفرت المسيحيين الغربيين من سلوك محمد هي بلا أدنى شك إفراطه الجنسي .. » [9] ، ويصور المستشرق وات [10] محمد ﷺ بأنه كان يعاني من حساسية مفرطة أمام النساء حيث قال: «بالرغم من أن الكتاب المسلمين حكوا فيما بعد قصصا ممتعة حول حساسية محمد أمام النساء، فإنه من الأكيد كان يسيطر تماما على عواطف أمام الجنس اللطيف» [11].

والجدير بالذكر هنا أن اهتمامات الغرب بهذه القضية مبنية- في الأساس- على الرؤية المسيحية إلى مسألة الزواج والطلاق فالرهبانية[12] المبتدعة جعلت الانصراف عن النساء من شروط التعبد والتزهد والتقرب إلى الله تعالى، فخالفت هذه الرؤية الفطرة السليمة في نظرتها للمتعة الجسدية المشروعة.

أما اهتمامات الغرب بقصة زواج الرسول محمد ﷺ بالسيدة عائشة رضي الله عنها – على وجه التحديد- فتعود إلى نهاية القرن التاسع عشر إلى عالم النفس النمساوي ريتشارد فريهير فون كرافت في كتابه (السيكلوجية الجنسية) الصادر عام 1866 والذي أكد فيه أن محمد ﷺ مضطرب نفسيا بتفضيله معاشرة طفلة صغيرة ..[13]

وتناول المستشرقون هذه القضية بعده في بداية القرن العشرين ، وهذا ما ذكره عباس محمود العقاد حينما قال: « والأرجح عندنا أن السيدة عائشة كانت لا تقل عند زفافها إلى النبي عليه السلام عن الثانية عشر ولا تتجاوز الخامسة عشر بكثير ذلك هو التقدير الراجح الذي ينفي ما يقوله المستشرقون على النبي بصدد زواجه بعائشة في سن الطفولة الباكرة»[14] ، وما أشارت إليه بنت الشاطئ بقولها : «وأي عجب في مثل هذا ، وما كانت أول صبية تزف في تلك البيئة إلى رجل في سن أبيها ، ولقد تزوج عبد المطلب الشيخ من هالة عمت آمنة بنت وهب.. لكن نفرا من المستشرقين يأتون بعد بضعة عشر قرنا من ذلك الزواج، فيهدرون فروق العصر إليه»[15] .

وهكذا بدأ اهتمام الغرب بقصة زواج الرسول محمد ﷺ بالسيدة عائشة رضي الله عنها وزادوا القصة تلفيقا وكذبا وبهتانا ، مما يدل على سوء نياتهم وخبث هدفهم حيث كانوا يرومون من وراء ذلك القضاء على رسالته النبيلة وعلى أتباعه في العالم.

وبعد هجمات 11 سبتمبر 2001م، أسهمت هذه الحادثة بشكل كبير في إعادة تحديث هذه الشبهة القديمة وكانت فرصة للغرب من أجل شن الغارة من جديد على الإسلام ورسول الأنام، حيث تصاعدت حملات العداء على شخص الرسول ﷺ، بمختلف الوسائل من رسوم كاريكاتورية وتصريحات رسمية ودراسات[16] ، فبرزت هذه الفرية بصورة أكبر وأشد في بداية هذا العقد ، على يد مجموعة من الكتاب والمفكرين الغربيين، نذكر منهم على سبيل المثال: إتيان فيرمرش البلجيكي والقس المعمداني الأمريكي (جيري فاينز)[17] ، والواعظ السويدي رونار سوجارد [18] وغيرهم كثير..

وكان قصدهم من وراء هذه الحملة الشرسة التحريض ضد الإسلام ونبيه الكريم بإظهار عدم إنسانيته ووحشيته وتشويه صورته مما يقلل من مصداقيته.

وهنا نصل إلى طرح سؤال في غاية الأهمية وهو: ما حقيقة هذه الشبهة عند هؤلاء الكتاب؟، وماهي أدلتهم التي يستندون إليها؟ وكيف يمكننا الرد عليهم؟ هذا ما سنحاول بيانه من خلال تحليل هذه الشبهة :

ثانيا: مضمون الشبهة في الكتابات الغربية

نستعرض فيما يلي بعض مضامين هذه الشبهة عند مجموعة من هؤلاء الكتاب الغربيين، ونذكر في هذا الصدد ما ذهب إليه عالم النفس النمساوي ريتشارد فريهير فون كرافت في كتابه (السيكلوجية الجنسية) الصادر عام 1866 والذي أكد فيه أن محمد ﷺ مضطرب نفسيا بتفضيله معاشرة طفلة صغيرة ، و صاغ لهذا المرض مصطلح (بيدوفيليا) Pedo-Philia [19] كشفرة لهذا النوع من الاضطراب النفسي، وقد أكد في كتابه أن سلوك محمد تجاه عائشة طفلة أبي بكر بن أبي قحافة الملقب بـ (الصدّيق) وتعلقه الشديد بها كان سلوكا بيدوفيليا بامتياز [20]، ثم يواصل كلامه في محاولته –طبعا- تحليل سلوكات الرسول محمد ﷺ، قائلا: «والمعروف أن عائشة لم تغادر سن الطفولة إلا عند وفاة محمد..فعند موته كانت هي قد بلغت بالكاد سن الثامنة عشرة..ولعل هذا يفسر لنا سر تعلقه الشبقي بهذه الطفلة وتفضيله لها علي جميع نسائه» [21].

وفي السياق نفسه تقريبا يذهب الكاتب الملحد البلجيكي اتيان فيرمرش إلى القول بأن محمد ﷺ قدم مثالا سيئا لما أقدم على الزواج بعائشة رضي اللّٰه عنها وهي لا تزال فتاة صغيرة لا يتعدى عمرها التسع سنوات [22]، قائلا : «وكان لمحمد أيضا شهوة جنسية مفرطة عندما تزوج من ابنة بالغة من العمر ستة سنوات ، والدخول بها وهي في سن التاسعة، فإنه ليس مثالا جيدا». [23]

ويذهب هذا الكاتب إلى أبعد من ذلك حينما يمس شخص الرسول محمد ﷺ وصديقه الصحابي الجليل أبي بكر الصديق حينما قال: « لكي نكون فكرة عن احترام المرأة عند أبي بكر الصديق أول حليف للرسول علينا أن نتذكر بأنه زوج ابنته عائشة حينما كانت طفلة تبلغ من العمر تسعة سنوات لزوجها الرسول الذي كان يبلغ من العمر 53 سنة» [24]، وهذا الزواج-أو الاعتداء الجنسي حسب قوله - تم بتنظيم محكم بين والدها أبي بكر وصديقه الرسول محمد ﷺ.

وهو يريد بهذه الطريقة الملتوية أن يستحضر الماضي ليرسخ الصورة التي وقرت في أذهان الكثير من الغربيين عن شهوانية الرسول محمد ﷺ [25]، وليجد تعليلا تاريخيا لما يحدث الآن في بعض دول العالم الإسلامي من اعتداء سافر على حقوق المرأة وحقوق الأطفال، فإلى عهد قريب- على حسب تصريحه- كانت ظاهرة تزويج الأطفال منتشرة في البلدان العربية- اقتداءا طبعا برسول الإسلام محمد ﷺ -حيث ينقل عنه ميشال داردين قوله: « إنه حتى سنة

1923 لم يوجد في أي بلد عربي قانون يحدد سن الزواج القانوني ، وكان من نتائجه تزويج أعداد كبيرة من الأطفال»[26].

والغريب أنه يطلق الكلام دون إحالة لمصدر في ذلك ؟ أو أرقام أو أدلة يعتمد عليها في رأيه، وهذه ميزة من ميزاته الكذب والبهتان والتلبيس والتلفيق ليصل إلى غايته وهي تشويه صورة الإسلام ورسول الإسلام في بلجيكا والعالم الغربي ككل.

وأما القس(جيري فاينز) فإنه يتهم النبي محمد ﷺ بأنه كان يتحرش بالأطفال الصغار، وأنه تزوج اثنتي عشرة زوجة إحداهن تسع سنوات[27]، وغير بعيد عن هذا الرأي نجد الواعظ السويدي رونار سوجاردRunar Soguard يستغرب من زواج الرسول محمد ﷺ بالسيدة عائشة رضي الله عنها والتي كانت صغيرة جدا على تحمل هذا الزواج[28]، ويصرح لجريدة أفتون بلاد Afton Bladet عام 2006م، قائلا:"إن الرسول مرتبك المزاج، ومزواج يحب النساء، وخاصة الصغيرات منهن، وأنه تزوج فتاة في التاسعة من عمرها، وأن كتب التاريخ تحدثنا عن ولهه بهذا النوع من الفتيات"[29].

وإن المتتبع لكلام هذا الواعظ حول نبي الإسلام يتبين حقده الدفين وبغضه الشديد له، فحجته الوحيدة في ذلك هي زواج الرسول محمد ﷺ بثلاث عشرة امرأة، والناظر إلى زيجات الرسول يجد ببساطة أنها لم تكن من أجل المتعة بل أغلبها فيها حكمة وتشريع.

ونجد مقال آخر للصحفي ديفيد وود David Wood تحت عنوان : (هل كان محمدا شاذا ؟) جاء فيه: « لعل الحقيقة الأكثر إثارة للقلق حول الإسلام هو أن مؤسسها كان على علاقة حميمية مع فتاة عمرها تسع سنوات، لهذا أطلقت عليه بعض الدوائر الشعبية اسم الشاذ جنسيا[30]، ويستغرب بعدها من تشريع القرآن نفسه للرجال الزواج من الفتيات الصغيرات في السن ، وهو ما استنتجه من قوله تعالى في سورة الطلاق : ﴿وَٱلَّٰٓـِٔي لَمۡ يَحِضۡنَۚ﴾[31] »[32]، وهو يهدف من هذا الاتهام الطعن في عفة نبينا عليه الصلاة والسلام وفي قرآننا المجيد ، لأنه يعلم أنه إذا أتيح تشكيك المسلمين فيهما ، أمكنه إخراجهم من دينهم.

ومن هنا نجد في كتابات هؤلاء بعض الصور النمطية السائدة التي اعتاد الكثير من الغربيين وأتباعهم إلصاقها دون ترو برسول الإسلام محمد ﷺ، وذلك لأنهم جميعهم يمتحون من معين واحد ألا وهو روح الكراهية التي تعمي الأبصار، وتحول دون إعداد العدة للقيام بقراءة موضوعية ومنصفة وعادلة تتحرى الدقة وتتفحص المصادر المباشرة للدين الإسلامي.

هذه إذن بعض التهم التي رصدناها لمجموعة من الكتاب الغربيين، وهي كما يبدو تصب في قالب ومعنى واحد وهو اتهام الرسول بالشبق الجنسي وباغتصاب السيدة عائشة الطفلة الصغيرة التي لم يتعدى سنها تسع سنوات. فكيف يمكننا الرد عليهم ؟

موقف الأستاذ ميشال داردين من القصة

حاول الأستاذ ميشال داردين وهوحديث عهد بالإسلام ، من خلال كتابه " كشف الحجاب عن الإسلام" الرد على 24 شبهة أوردها الملحد إتيان فيرمرش حول الإسلام، وكان من أبرز هذه الردود ، دفاعه حول مسألة زواج النبي محمد ﷺ بالسيدة عائشة وقد خصص لهذه المسالة 17 صفحة من كتابه، حيث عرض في البداية شبهة إتيان فيرمرش الآنفة الذكر حينما قال : « لكي نكون فكرة عن احترام المرأة عند أبي بكر الصديق أول حليف للرسول علينا أن نتذكر بأنه زوج ابنته عائشة حينما كانت طفلة تبلغ من العمر تسعة سنوات لزوجها الرسول الذي كان يبلغ من العمر 53 سنة »[33]، ويركز هذا الملحد على قضية ورود عمر عائشة في صحيح البخاري.

وهنا يرد عليه الأستاذ ميشال داردين بأن عمر السيدة عائشة رضي الله عنها عند زواجها برسول الله ﷺ مختلف فيه عند علماء الإسلام على ثلاثة آراء هي :

الرأي الأول: عمرها 9 سنوات[34]،

الرأي الثاني: عمرها 13 سنة [35]،

والرأي الثالث 19 سنة [36]، وهو الذي يميل إليه الأستاذ ميشال داردين، ويدلل عليه بثلاثة مستندات، وهي:

المستند الأول: السياق اللغوي.

المستند الثاني: البيئة الاجتماعية.

المستند الثالث: الأحداث التي وقعت في حياة السيدة عائشة.

وقد شرح كل مستند كما يلي:

المستند الأول: الجانب اللغوي

يؤكد الأستاذ ميشال أن اللغة العربية كما هو الحال في جميع لغات العالم لها طريقة في الكلام قد تحيد عن قواعد اللغة المعروفة، ويورد مثالا في ذلك بين ثلاث زميلات واحدة تقول أنا عندي من الطول 1.82م، والثانية تقول: أنا عندي 83م، والثالثة تقول: أنا أكبركم عندي 86م[37]، فنجد أنه في السياق اللغة العربية ننطق بالأرقام الآواخر اختصارا للكلام

بذكر الرقم الأخير، وعليه يمكننا القول أن عمر عائشة رضي الله عنها كان 6 و9 بعد العشرة أو العشرين من الهجرة وليس ستة سنوات كما فهمه الكثيرين، كما يترك الاحتمال إلى أن عمرها 6 و9 بعد أول بلوغ لها وهو احتمال وارد[38]، وعليه فحديث أبو بكر عن طريق هشام بن عروة يترك المجال مفتوح لكل الاحتمالات.

ويشير الأستاذ ميشال أن العرب في زمن الرسول ﷺ لم يسجلوا تواريخهم بدقة مثل ما هو عليه الحال الآن.

المستند الثاني: البيئة الاجتماعية

يرى الأستاذ ميشال داردين أن البيئة التي عاش فيها الرسول محمد ﷺ كانت مليئة بأصحابه وأعدائه في الوقت نفسه، وأنه لم يرد أن عارضه أحد في هذا الزواج أو طعن في صحته، ومن هنا فالبيئة الاجتماعية للرسول محمد ﷺ لم ترفض هذا الزواج أو تعارضه، ولم تشكك فيه ، مما يدل على أنه كان زواجا طبيعيا، وهنا يريد الأستاذ ميشال أن يثبت أن عائشة كانت امرأة تخطت مرحلة الطفولة بسنوات، ولم تكن أبدا في سن التاسعة كما هو مصرح به في كتب السنة والتواريخ، ويدلل الأستاذ ميشال على رأيه بما هو متعارف عليه في بلدان العالم حيث يقول: "إن سن الزواج المسموح به للفتيات في بلدان العالم يتراوح بين الخامس عشر، وفي بعض الأحيان ثلاثة عشر سنة واثنا عشرة سنة، وكحد أقصى أحدى عشرة سنة، ولكن أقل من هذا لا يوجد أي مؤشر على ذلك[39].

المستند الثالث : الأحداث التي وقعت في حياة السيدة عائشة.

يعقد ميشال داردين في هذا المستند مقارنة بين عمر عائشة رضي الله عنها بالنسبة لأختها أسماء رضي الله عنها حيث يذكر أنها توفيت بعد حادثة مقتل ابنها عبد الله ابن الزبير رضي الله عنه، وذلك عام 73 هـ ، وكان عمرهاناهز 100 أو 101، فلو قمنا بعملية طرح لعمر أسماء من عام وفاتها 100- 74= 26 سنة وهو عمرها وقت الهجرة ، فإذا ما طرحنا من عمرها 10 سنوات، وهي السنوات التي تكبر فيها أختها عائشة ، يصبح عمر عائشة 26-10= 16 سنة ، وهي السنة التي خطبها في رسول الله ﷺ وبإضافة ثلاثة سنوات بعدها والتي دخل بها الرسول ﷺ ، يصبح عمرها آنذاك 16+3= 19.

وهنا يصل الأستاذ داردين أن أن عمر عائشة رضي الله عنها وقت الزواج بها هو 19 سنة.

وانطلاقا من ذلك يشكك الأستاذ ميشال داردين في حديث عروة بن الزبير ، ويذكر في ذلك أن هشام بن عروة بن الزبير اختلط وساء حفظه في كبره، بعد أن ارتحل للعراق ،

فنلاحظ أن غرض الأستاذ ميشال –وهو حديث عهد بالإسلام- التصدي لفيرمش والدفاع عن رسول الآنام محمد ﷺ، ولكنه للأسف وقع في خطأ أكبر فشكك هو الآخر في هشام بن عروة وحديثه.

ثالثا: الردود

1- متن الحديث وسنده

بالنسبة لمتن الحديث نقول أن السيدة عائشة رضي الله عنها ، في سياق حديثها عن نفسها قالت: (تَزَوَّجَنِي النَّبِي ﷺ وَأَنَا بِنْتُ سِتِّ سِنِينَ ، فَقَدِمْنَا الْمَدِينَةَ فَنَزَلْنَا فِي بَنِي الْحَارِثِ بْنِ خَزْرَجٍ ، فَوُعِكْتُ فَتَمَرَّقَ شَعَرِي فَوَفَى جُمَيْمَةً ، فَأَتَتْنِي أُمِّي أُمُّ رُومَانَ وَإِنِّي لَفِي أُرْجُوحَةٍ وَمَعِي صَوَاحِبُ لِي ، فَصَرَخَتْ بِي فَأَتَيْتُهَا لاَ أَدْرِي مَا تُرِيدُ بِي ، فَأَخَذَتْ بِيَدِي حَتَّى أَوْقَفَتْنِي عَلَى بَابِ الدَّارِ ، وَإِنِّي لأُنْهِجُ ، حَتَّى سَكَنَ بَعْضُ نَفَسِي ، ثُمَّ أَخَذَتْ شَيْئًا مِنْ مَاءٍ فَمَسَحَتْ بِهِ وَجْهِي وَرَأْسِي ، ثُمَّ أَدْخَلَتْنِي الدَّارَ ، فَإِذَا نِسْوَةٌ مِنَ الأَنْصَارِ فِي الْبَيْتِ ، فَقُلْنَ : عَلَى الْخَيْرِ وَالْبَرَكَةِ ، وَعَلَى خَيْرِ طَائِرٍ . فَأَسْلَمَتْنِي إِلَيْهِنَّ فَأَصْلَحْنَ مِنْ شَأْنِي ، فَلَمْ يَرُعْنِي إِلاَّ رَسُولُ اللَّهِﷺ ضُحًى ، فَأَسْلَمَتْنِي إِلَيْهِ ، وَأَنَا يَوْمَئِذٍ بِنْتُ تِسْعِ سِنِينَ)[40].

فنجد أن عائشة تحدثت عن نفسها، وهي أدرى بحالها أنها تزوجت رسول الله وهي بنت ست سنين ، وبنى بها وهي بنت تسع، ثم إن جميع أهل السير والتواريخ أجمعوا رأيهم أنها ولدت بعد البعثة المحمدية بأربع سنوات، ومن هؤلاء نذكر كنماذج ما ذكره ابن حجر في الإصابة حيث قال: « ولدت بعد المبعث بأربع سنين أو خمس»[41]، وما أورده الذهبي حين قال: «وعائشة ممن ولد في الإسلام»[42]، وقال البيهقي في "السنن الكبرى":« عائشة رضي الله عنها ولدت في الإسلام»[43].

وهذا ما أكدته الباحثة كارين أرمستروتح (Karen Armstrong) في كتابها "سيرة النبي محمد" قائلة: « وأخيرا وبعد نحو شهرين من وصول عائشة إلى مكة تقرر أن الوقت قد حان لزفافها إلى محمد، كانت ما تزال في التاسعة من عمرها..»[44]، وقالت في موضع آخر: «ولم يدخل بها النبي محمد إلا أن بلغت مبلغ النساء وظلت عائشة تلعب مع صديقاتها وتلهو بعرائسها الصغيرة .. »[45]، وهذه شهادة باحثة غربية تؤكد بلوغ السيدة عائشة سن التاسعة.

كما نعثر للسيدة عائشة على حديث آخر تذكر فيه أن البنت إذا بلغت تسعة سنوات فهي إمرأة، وبالتالي يمكنها الزواج، فقالت في ذلك: «إذا بلغت الجارية تسع سنين فهي

امرأة»[46]، وهو ما أشار إليه الإمام الشافعي كذلك فيما بعد ،فقال: «رأيت باليمن بنات تسع يحضن كثير» [47]، وما رواه البيهقي في السنن عَنِ الشَّافِعِيِّ ، قوله: «أَعْجَلُ مَنْ سَمِعْتُ بِهِ مِنَ النِّسَاءِ يَحِضْنَ نِسَاءُ بِتِهَامَةَ يَحِضْنَ لِتِسْعٍ سِنِينَ»[48].

أما بالنسبة لسند الحديث فنقول لهؤلاء أيضا إن هذه الرواية عن عائشة رضي الله عنها وقد وردت في أصح الكتب بعد كتاب الله تعالى، وهما صحيحا البخاري ومسلم، وهذا الحديث لم ينفرد عروة بن الزبير بروايته عن عائشة رضي الله عنها بل جاء عنها من طرق عدة وليس من طريق واحدة فقط كما ذكر ميشال داردين وغيره.

- فالطريق المشهورة هي من رواية هشام بن عروة بن الزبير ، عن أبيه عروة بن الزبير ، عن عائشة رضي الله عنها ، وهي من أصح الروايات ، فعروة بن الزبير من أعرف الناس بعائشة ، لأنها خالته رحمه الله .

- وطريق أخرى من رواية الزهري عن عروة بن الزبير عن عائشة عند مسلم[49] .

- وطريق أخرى من رواية الأعمش، عن إبراهيم، عن الأسود، عن عائشة قالت : (تزوجها رسول الله ﷺ وهي بنت ست ، وبنى بها وهي بنت تسع، ومات عنها وهي بنت ثمان عشرة)[50].

- وطريق أخرى عن عمارة بن غزية، عن محمد بن إبراهيم، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن، عن عائشة، قالت: «تزوجني رسول الله ﷺ وهي بنت ست سنين، وبنى بها وهي بنت تسع»[51].

- وطريق أخرى كذلك من طريق أبي إسحاق عن أبي عبيدة عن عبد الله ، قَالَ: تَزَوَّجَ النَّبِيُّ ﷺ عَائِشَةَ وَهِيَ بِنْتُ سَبْعٍ، وَبَنَى بِهَا وَهِيَ بِنْتُ تِسْعٍ.."[52]

وأما قوله أن هشام بن عروة اختلط عليه الأمر في كبره لما دخل العراق ، فلم يقل أحد أنه اختلط عليه الأمر إلا أبي الحسان بن القطان في كتابه (دلائل الوهم والإيهام)، وقد رد عليه الإمام الذهبي في كتابه " ميزان الاعتدال" في قوله:" أحد الأعلام، حجة إمام، ولكن في الكبر تناقص حفظه، ولم يختلط أبدا ولا عبرة بما قاله أبو الحسن القطان"[53]

2- الدليل التاريخي:

يستند هذا الدليل إلى أن عائشة رضي الله عنها لم تكن أول صبية تزف في تلك البيئة العربية إلى رجل في سن أبيها، ولم تكون كذلك آخرهم، تقول عائشة عبد الرحمن: « أي عجب في مثل هذا، وما كانت أول صبية تزف في تلك البيئة إلى رجل في سن أبيها »[54]،

والناظر إلى كتب التاريخ والسير يجد نماذج كثيرة لمثل هذا الزواج، منها أن عبد المطلب تزوج من هالة بنت عم آمنة بنت وهب وهو شيخ هرم، وعرض سيدنا عمر بنته حفصة

على سيدنا أبي بكر الصديق وبينهما من فارق السن مثل الذي بين الرسول ﷺ وعائشة رضي الله عنها.

كما تزوجت زينب في سن العاشرة ، وتزوجت أم كلثوم بنت علي رضي الله عنه بعمر بن الخطاب رضي الله عنه في سن العاشرة كذلك حيث جاء في مصنف عبد الرزاق عن عمر عن أيوب عن عكرمة قال:" تزوج عمر بن الخطاب أم كلثوم بنت علي أبي طالب، وهي جارية تلعب مع الجواري فجاء إلى أصحابه فدعوا له بالبركة"[55].

وبالتالي فإن الزواج في سن التاسعة كان أمرا طبيعيا في تلك البيئة العربية وهذا ما أكده البروفيسور "جاك ريسلر" في كتابه الموسوم ب"الحضارة العربية"، فقال : « كما كان المسلمون يتزوجون في سن مبكرة جدا، حين تبلغ الفتيات التاسعة أو العاشرة، وحين يبلغ الفتيان نحو الخامسة عشرة، ويحضهم على ذلك الشرع الديني والأعراف والتقاليد الزوجية»[56].

ويقول ول ديورانت (ت 1981م) في "قصة الحضارة": « إن المناخ من العوامل التي تؤثر في الأخلاق الفردية ، ولعل حرارة الجو في بلاد العرب كانت من أسباب تقوية الغريزة الجنسية، والنضج المبكر»، وقال في موضع آخر واصفا بنات العرب: «وكانت البنات يزوجن في العادة قبيل سن الثانية عشرة أو الرابعة عشرة، ومنهن من كن يتزوجن في سن التاسعة أو العاشرة»[57]، ويقول في موضع آخر من كتابه: «حياة المرأة العربية قبل أيام النبي تنتقل من حب الرجل لها حبا يقترب من العبادة إلى الكدح طوال ما بقي من حياتها ولم تتغير هذه الحياة فيما بعد إلاقليلا..ولكنها حين تبلغ السنة السابعة أو الثامنة من عمرها كانت تزوج لأي شاب من شبان القبيلة يرضى والده أن يؤدي للعروس ثمنها-يقصد بهذا المهر-»[58]، وهذا إقرار واضح جدا أن الزواج عندالعرب كان يتم بشكل معهود في سن السابعة والثامنة وهذه شهادة من باحثين غربيين درسا الحضارة العربية الإسلامية فأدلوا بشهادتهما وفق دراسة وبحث عميقين ، وليس كما هو الحال بالنسبة لاتيان فيرمرش الذي كذب وادعى على رسولنا الكريم بما لا يليق به، وأيا من الأمر فالرسول ﷺ لم يتزوج عائشة رضي الله عنها من أجل المتعة، وإنما كان لتوكيد الصلة مع أحب الرجال إليه عن طريق المصاهرة.

ومن هنا فقد كان زواج النبي محمد ﷺ بالسيدة عائشة رضي الله عنها من صميم الطبيعة والعرف والعادة في البيئة العربية في ذلك الوقت.

3- مقارنة زواج عائشة بما ورد في الكتاب المقدس:

إذا ما أردنا أن نقارن بين عمر السيدة عائشة رضي الله عنها عند الزواج بما ورد في الكتاب المقدس وعند اليهود ، فإننا نجد الديانة اليهودية تسمح بزواج الطفلة عندما تتجاوز سن الثالثة بيوم واحد ، حيث جاء في تلمود[59] السنهدرين في الوصية 55 منه " يجوز لليهودي أن يتزوج فتاة عمرها ثلاث سنوات، وأكثر تحديدا عمرها ثلاث سنوات ويوم" ، وجاء أيضا في الوصية 54 من تلمود السنهدرين نفسه ما نصه : « يجوز لليهودي أن يمارس الجنس مع طفل ما دام الطفل دون سن التاسعة»[60] ، وجاء في المشنا[61] كذلك : «وصداق المتهودة أو المسبية أو الأمة التي افتدت أو حررت، ولما تبلغ السنة الثالثة ويوما واحدا من عمرها مائتا دينار»[62] ، ويقول سعيد رابي جوزيف: «سجل عندك يمكن لطفلة تبلغ من العمر ثلاث سنوات ويوم أن تقوم بالممارسة الجنسية»[63] ، وهذا الأمر-في الحقيقة- يدعو للتعجب والاستغراب أيهما أصلح للزواج فتاة عمرها تسع سنوات أم فتاة صغيرة عمرها ثلاثة سنوات ويوم ، كيف يروج هؤلاء لهذه الشبهة وما يوجد عندهم أكثر غرابة ؟؟

ومن جهة ثانية نجد الكتاب المقدس طافح بالحكايات حول زواج الأنبياء في سن كبيرة، بفتيات عذارى وهذا ما جاء عن النبي داوود عليه السلام، الذي شاخ في السن وأصابه البرد فلم يدفأ رغم محاولات تدفئته بكثرة الثياب، يقول سفر الملوك الأول: « و شاخ الملك داود وتقدم في الأيام وكانوا يدثرونه بالثياب فلم يدفأ ، فقال له عبيده ليفتشوا لسيدنا الملك على فتاة عذراء فلتقف أمام الملك ولتكن له حاضنة ولتضطجع في حضنك فيدفأ سيدنا الملك، ففتشوا على فتاة جميلة في جميع تخوم إسرائيل فوجدوا ابيشج الشونمية فجاءوا بها إلى الملك»[64] ، وهذا الكلام يدل على الاستنتاج أن النبي داود-عليه السلام- في عمر متقدمة جدا ، بل هو شيخ هرم أصابه البرد ، ولكن مع ذلك بحثوا له عن فتاة عذراء تصغره بعشرات السنين لتدفئه !والواضح أن هذه الفقرات تحمل معاني جنسية؛ فهي تتحدث عن تدفئة النبي داوود بواسطة فتاة جميلة تدفئه .

وهذا الكلام في منتهى الخطورة ، وهو اتهام نبي آخر من أنبياء الله بالشبق الجنسي وهو في سن متقدمة ، وهذا لا تستغربه من اليهود الذين ألصقوا الكذب والنفاق والحيلة والسرقة والزنى بأنبيائهم، ولكن السؤال المطروح هنا هو لماذا لا ينظر المحرضون ضد الإسلام إلى هذا السلوك، ويعتبرونه اغتصابا وهوسا جنسيا؟ لماذا لا تتحدث وسائل الإعلام الغربية عن هذه الواقعة وتبالغ في الحديث عنها كما تفعل مع زواج نبي الإسلام بعائشة؟ السبب بسيط،

وفالهدف منها ليس انتقاد مثل هذه الزيجات والعلاقات الجنسية، وإنما الهدف هو تشويه صورة الإسلام دون غيره، والتحريض ضده وملئ قلوب الناس كراهية تجاه هذا الدين وأتباعه.

4- سماح أوروبا بزواج فتيات صغيرات في السن.

كان الزواج في سن مبكرة موجودا كذلك في أوروبا نفسها، يقول المؤرخ ويل ديورانت في كتابه الشهير "قصة الحضارة" وهو يتحدث عن سن الزواج في عصر الايمان في أوربا: «كان الشاب في عصر الإيمان قصير الأجل، وكان الزواج يحدث فيه مبكراً، وكان في وسع الطفل وهو في السابعة من عمره أن يوافق على خطبته، وكان هذا التعاقد يتم في بعض الأحيان ليسهل به انتقال الملكية أو حمايتها. ولقد تزوجت جراس صليبي Grace de Saleby في الرابعة من عمرها بشريف عظيم يستطيع حماية ضيعتها الغنية، ثم مات هذا الشريف ميتة سريعة فتزوجت وهي في السادسة من عمرها بشريف آخر، وزوجت وهي في الثالثة عشرة بشريف ثالث[65].

ولا يوجد دليل أفضل على ذلك من زواج الملوك والحكام في القرن الثاني عشر في سن صغيرة من أجل إنشاء تحالفات تضمن استمرار السلام، وهكذا كانت الإمبراطورة الطفلة أنياس في فرنسا زوجة لاثنين من الأباطرة البيزنطيين الإمبراطور ألكسيوس كمننوس الثاني والإمبراطور أندرونيكوس كمننوس الأول على التوالي، وحسب ويليام صور William of Tyre فإن أنياس كانت في الثامنة من عمرها عند وصولها إلى القسطنطينية في حين أن ألكسيوس كان قد بلغ ثلاثة عشرة عاما.

لم يكن عمر أنياس في ذلك العصر أمرا غير مألوف خاصة أنه كان من المتعارف عليه آنذاك أن يجتمع العريسان الجدد في القسطنطينية في بيت الشريك ذي المكانة الاجتماعية العالية، ومع ذلك، فقبل أن يكمل ألكسيوس عامه الثالث كإمبراطور، نصب ابن عم أبيه أندرونيكوس نفسه إمبراطورا مشاركا(ولد سنة 1118 أي أنه كان في الخامسة والستين من العمر)، وانتزع منصب ألكسيوس بالقوة ثم تزوج آنياس رغم الخمسين سنة التي كانت تفصل بينهما، وهذا يُظهر بوضوح أن زواج الفتيات في سن مبكرة برجال تجاوزوا الستين من العمر كانت عادة سائدة في أوروبا بين الطبقات الحاكمة نفسها فما بالك بعامة الشعب؟.

ويتكلم ول ديورانت عن الحب الذي ينشأ عن الزواج فقال: «ولسنا نعرف حبا نشأ بين فتى وفتاة أعمق وأصدق من الحب الذي نشأ بين فيكتوريا كولنا والمركيز بيسكار وقد خطبت له في الرابعة»[66]. وفي موضع آخر من كتابه : « مارجريت ابنة فالديمار، وقد تزوجت وهي في العاشرة (1363م) من هاكون السادس ملك النرويج.. »[67].

إذن هذه شواهد كافية من العصور الوسطى وبداية عصر النهضة للتدليل على أن زواج المبكر كان سائدا في أعلى الطبقات في المجتمع الأوربي وبين عموم الناس، وذلك بعد أكثر من خمسة قرون من زواج النبي محمد ﷺ بالسيدة عائشة رضي الله عنها.

5- الدراسات العلمية حول سن البلوغ:

تؤكد الدراسات العلمية النفسية المعاصرة أن سن البلوغ لدى الفتيات يتراوح بين الثامنة والتاسعة وفي هذا تقول الدكتوراه منى رشاد استشارية أطفال: « البلوغ يبدأ لدى الفتيات بعد التاسعة، وفي بعض الحالات في سن الثامنة ويعد مسألة طبيعية»[68]، وتقول الدكتورة دوشتي وهي طبيبة أمريكية: « إن الفتاة البيضاء في أمريكا قد تبدأ بالبلوغ عند السابعة أو الثامنة ، والفتاة ذات الأصل الأفريقي عند السادسة ، ومن الثابت طبيا أيضا أن أول حيضة والمعروفة باسم المينارك ، Menarche ، تقع بين سن التاسعة والخامسة عشرة..»[69]

وإضافة إلى هذه الشهادة هناك وقائع حدثت منذ القرن الماضي وحتى هذا القرن تؤكد أن هناك فتيات في سن الخامسة والتاسعة والحادي عشر انجبن بصورة طبيعية ، ومن الأمثلة على ذلك : ما ورد في صحيفة " نيوستريتس تايمز في 03 أكتوبر 2001م، أن فتاة تايلاندية بسن التاسعة تضع مولودا بصحة جيدة،[70] وفتاة أخرى في البرازيل عمرها تسع سنوات كذلك أنجبت طفلة في غابات الأمازون[71]. وذكرت جريدة دان الفجر الباكستانية أن بنتا أفريقية عمرها تسع سنوات ولدت طفلا سنة 1966م، وأيضا الطفلة لينا مدينة التي تعتبر أصغر أم موثقة في التاريخ حيث أنجبت طفلا و عمرها 05 سنوات سنة 1934، وصورها موجودة في النات لمن أراد الاطلاع على ذلك[72].

ويقول الدكتور شبر الفقيه في كتابه سن الزواج هو سن البلوغ أي سن النضوج الطبيعي، وهو يختلف باختلاف الشعوب، سن النضوج يتأثر بعوامل المناخ وطبيعة البيئة ، فهو يحصل في سن مبكرة في البلاد الحارة كأفريقيا فتبلغ الفتيات فيها في حوالي التاسعة أو العاشرة من العمر[73]، وفي هذا الكلام إشارة إلى نضوج الفتاة في المناطق الحارة مبكرا جدا وتتأخر في المناطق الباردة ، كما يحدث في بعض البلاد الباردة .

ومن هنا؛ فقد دخل الرسول ﷺ بعائشة رضي الله عنها وهي بالغة أو قد قاربت البلوغ، وليس في هذا أي انتهاك لفتاة قاصر.

خامسا: الحكمة من الزواج بعائشة وهي صغيرة.

كان لزواج النبي محمد ﷺ بعائشة رضي الله عنها حكمة كبيرة للإسلام والمسلمين، فقد مكنها سنها المبكر من سرعة حفظ وتعلم أصول الإسلام من المنبع، فأورثها النبي الكريم علما بالدين الجديد، جعلها مرجعا وحجة يلجأ إليها الكبار والصغار في كل ما يتعلق بالقرآن والفقه والسير والحديث، فكانت مع كبار فقهاء الإسلام بمقام الأستاذ من تلامذته، وكانوا لا يسألونها شيئا عن الإسلام إلا وجدوا عندها منه علما وتفصيلا حتى نقل عنها وحدها ربع الشريعة الإسلامية.

امتازت عائشة رضي الله عنها منذ طراوة الصبا بذكاء وقاد وفطنة وذاكرة قوية يقضى منها العجب، فقد كان الوحي ينزل على رسول الإسلام وهو عند عائشة وفي هذا إشارة لها بأن تتجه بكل كيانها إلى تفهم رسالة زوجها العظيمة لتؤدي دورها في إرشاد المسلمين من بعده، فأخذ عنها المسلمون في عهد أبي بكر واستشارها العلماء والفقهاء في عهد عمر وعثمان وعلي ومعاوية.

وقد ذكر العلماء المؤرخون أنه قد انتقل ربع الأحكام الشرعية إلى الأمة المسلمة بعد وفاة التبي ﷺ من خلال توجيهات السيدة عائشة رضي الله عنها وجهودها التي استمرت 48 سنة بعد وفاة النبي ﷺ، وظلت تسكن الحجرة نفسها التي دفن فيها الرسول إلى أن توفي سيدنا عمر رضي الله عنه، فانتقلت من تلك الحجرة قائلة:" إنني استحي الآن أن أبقى هنا"[74]

فكان الأكابر من الصحابة إذا أشكل عليهم الأمر في الدين استفتوها، فيجدون علمه عندها، قال أبو موسى الأشعري رضي الله عنه: «مَا أَشْكَلَ عَلَيْنَا أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَدِيثٌ قَطُّ فَسَأَلْنَا عَائِشَةَ إِلا وَجَدْنَا عِنْدَهَا مِنْهُ عِلْمًا»[75].

وقال مسروق رحمه الله: «لَقَدْ رَأَيْتُ الأَكَابِرَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَسْأَلُونَهَا عَنِ الْفَرَائِضِ»[76]، وقال الإمام الزهري التابعي: « كانت عائشة أعلم الناس يسألها الأكابر من أصحاب رسول الله ﷺ »[77]، ويقول عروة بن الزبير رضي الله عنهما: «ما رأيت أحداً أعلم بالقرآن ولا بفريضة ولا بحلال ولا بفقه ولا بشعر ولا بطب ولا بحديث العرب ولا نسب من عائشة »[78]، وقد روي عن موسى بن طلحة قوله: « ما رأيت أفصح من عائشة »[79]

والمعروف أنه قد روى عنها 2210 حديثاً من أحاديث رسول الله ﷺ وقد اتفق الشيخان على 174 حديثاً منها وقد انفرد الإمام البخاري بتخريج 58 حديثاً كما انفرد الإمام المسلم بتخريج 68، وقال أبو سلمة بن عبد الرحمن: «مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَعْلَمَ بِسُنَنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَلا أَفْقَهَ فِي رَأْيٍ إِنِ احْتِيجَ إِلَى رَأْيِهِ، وَلا أَعْلَمَ بِآيَةٍ فِيمَا نَزَلَتْ، وَلا فَرِيضَةٍ مِنْ عَائِشَةَ»[80].

هذه جملة من الشهادات التي تبين أن السيدة عائشة رضي الله عنها تزوجت في سن صغيرة لحكمة كبيرة وهي حفظ ربع الشريعة الإسلامية من الضياع فكانت عالمة جليلة يسألها الصحابة في كل ما يستشكل عليهم فهمه ، فيجدون عندها الجواب الشافي والبيان الكافي ، وليس كما يحاول بعض المفكريين الغربيين ترويجه من أكاذيب وشبه ، بل واتهامها بأنها كانت ضحية ما يعرف بالزواج المبكر والاغتصاب.

خاتمة:

في ختام البحث نقول إن الصورة التي حاول بعض المفكرين الغربيين تشكيلها عن زواج الرسول محمد ﷺ بالسيدة عائشة رضي الله عنها في المتخيل الغربي، صورة مليئة بالأكاذيب والأراجيف، وقد اعتمدوا في ترويجها على جهل الكثير من الناس في العالم الغربي بالسيرة النبوية العطرة، والمشكلة أن هذه الصورة ليست مجرد مقولات تنتهي عند حدود التفكير العقلي المجرد، وإنما هي بناء فكري يتوجه به بعض هؤلاء المفكرين إلى شعوبهم كي يبرروا سلوكهم العدواني اتجاه الإسلام كما هو الشأن بالنسبة لاتيان فيرميرش(Etienne Vermeersch) من خلال محاولة ترويجه لأفكار خاطئة تمس شخصية نبينا الكريم غلب عليها طابع التلفيق والكذب والجهل المطبق بالسيرة النبوية جملة وتفصيلا، ومما لا شك فيه أن لهذه الصورة أبعادا سلبية خطيرة متعددة يأتي على رأسها صد الناس في المجتمع البلجيكي وغيره من الدول الغربية الأخرى عن الفهم الحقيقي للإسلام عقيدة وشريعة وحضارة.

ومن جهة أخرى، فإن هذه الصورة المشوهة عن خير الأنام محمد ﷺ من شأنها أن تسيء إلى العلاقات الانسانية التي تقوم بين العرب المسلمين من جهة والغرب من جهة أخرى، وإن رواج هذه الصورة لا يوفر المناخ الملائم لإقامة هذه العلاقات على أسس سليمة من التفاهم والتبادل والاطمئنان والثقة.

ويبقى أخيرا الأثر السلبي الذي تتركه هذه الصورة النمطية المشوهة في تعامل المجتمعات والجاليات العربية والمسلمة في الدول الغربية ويأتي على رأسها بليجكا وبريطانيا وأمريكا، وإن رواج هذه الصورة النمطية المشوهة من شأنه أن يسهم في إيجاد بيئة عدائية ضد المهاجرين المسلمين في الدول الغربية ، وهنا تبرز ضرورة تصحيح هذه الصورة الذهنية لدى الغرب عن رسول الإسلام وزوجه، و أن تستثمر الجهود لبيانها أكثر في المجتمعات الغربية، وهذا بوضع منهجية ملائمة للخطاب الإسلامي للتعريف بالإسلام ومنظومته في هذه الدول،وتوطيد التواصل والتكامل بين المؤسسات والأفراد المهتمين بالتعريف بالإسلام.

الهوامش:

1- **إتيان فيرمرش** : (Etienne Vermeersch) هو مفكر شكوكي، وفيلسوف بلجيكي، ولد بمدينة سينل ميشل بروج عام 2 مارس 1942، يعتبر من أبرز الداعمين لقانون الإجهاض في بلجيكا. يدرس في جامعة خنت، وله عدة مؤلفات في الفلسفة، كما يُعتبر واحداً من أهم منتقدي الإسلام في بلجيكا.
انظر عنه:
https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A5%D8%AA%D9%8A%D8%A7%D9%86_%D9%81%D8%B1%D9%85%D9%8A%D8%B4

2- ينظر المقابلة التلفزيونية لاتيان فيرمش والتي خصها بالحديث عن زواج عائشة في الرابط التالي:
https://www.youtube.com/watch?v=cVEAgmCWA_o

3 - واعظ معمداني إنجيلي، ألف كتاب مع أخيه أمير، يذكر فيه هذا الاتهام، اسم الكتاب Unveiling Islam: An Insider's Look at Muslim Life and Beliefs

4 - وكذا ما أشار إليه كل من الكاتب ديفيد وود DAVID WOOD في أحد المواقع الإلكترونية و ما صرح به الصحفي Runar Soguard.

5- **ميشال داردين:** مفكر وكاتب بلجيكي دخل الإسلام منذ سنوات، التقيت به سنة 2013 ببلجيكا، وقد تحدث معي مطولا حول هذا الموضوع ، يعمل أستاذا بجامعة فاس بالمغرب ، له مقالات وكتب أهمها: كشف الحجاب، وهو ما سنعتمد عليه في الرد على الملحد إتيان فيرمرش .. انظر ترجمته في آخر ورقة من كتابه: Michel Dardenne L'slam Dévoilé , EURO ISLAM , 2011,

6- كارين امستروغ: محمد سيرة النبي ، ترجمة: فاطمة نصر ومحمد عناني، ط2، دب، دد، 1998م، ص35.

7- **فرانتس بول**: مستشرك دنماركي تعلم في جامعة ألمانيا ، ودرس في جامعة لينرج، قبل أن يعود إلى بلاده ويصبح أستاذا بها ، عني خاصة بتاريخ صدر الإسلام، ومن آثاره: (حياة محمد)، وكتاب(قيام الشيعة في الدولة الأموية) ..
انظر ترجمته في: محمد شفيق غربال: الموسوعة العربية الميسرة، ط1، القاهرة: مؤسسة دار الشعب، 1965م، ص87.

8- عبد الرحمن بدوي: دفاع عن محمد ضد المنتقصين من قدره، ترجمة: كمال جاد الله، دط، دب: الدار العالمية للكتب والنشر، ص 71.

9 - عبد الرحمن بدوي: دفاع عن محمد ، ص74.

10 - **وليم مونتجري وات**: هو مستشرق معاصر بريطاني الأصل، عمل عميدا لقسم الدراسات العربية في جامعة أدنبرا ، شكك في القرآن، والوحي، وتركزت اهتماماته الأساسية في مجال السيرة النبوية ، له العديد من المؤلفات من أهمها: الجبر والاختيار في الإسلام، ومحمد في مكة ، محمد في المدينة..

انظر ترجمته في: عبد الله النعيم: الاستشراق في السيرة النبوية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي 1417هـ، ص09.

11- Claud Cahen, L'islam des origines au debut de l'empire Ottman.édit Bordas. Paris, p 15.

12- **الرهبانية**: هي طريقة المعيشة المنعزلة عن الناس في خلوة فردية بقصد العبادة.

انظر: أحمد علي عجيبة: الرهبانية المسيحية وموقف الإسلام منها، ط1، القاهرة: دار الآفاق العربية، 2004م، ص 12.

13- جريس سالم بقاعين: دراسة سيكولوجية في زواج محمد من الطفلة عائشة، الحوار المتمدن، العدد 3236 ، يوم 04-01-2011 http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=240604

14- عباس محمود العقاد : الصديقة بنت الصديقة، دط، القاهرة : مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، 2012م، ص371.

15- عائشة عبد الرحمن: تراجم سيدات بنت النبوة، ط1، القاهرة، دار الريان للتراث، 1407هـ-1987م، ص 290.

16- ناجية أقجوج: الصورة النمطية للإسلام في المتخيل الغربي سوء فهم أو مركب جهل ط1 ،فاس: مطبعة آنفو، 2009م، ص30.

17- معجم افتراءات الغرب على الإسلام، ص 153.

18- فهد بن محمد بن محمد الغفيلي: السنا الوهاج في سن عائشة عند الزواج، ط1، الرياض: دار الصميعي، 1432هـ/2011م، ص 33.

19- بيدوفيليا مصطلح علمي يوناني الأصل يتكون من مفردتين (Pedo or Pedae) :تشير إلى الطفولة، والجزء الآخر يعني الحب أو الإعجاب، (Philia) وورد في دائرة معارف الاضطرابات النفسية، تعريف مصطلح بيدوفيليا بأنه: اضطراب وخلل نفسي محوره الإحساس بالانجذاب والرغبة والخيالات والاستثارة الجنسية من قبل البالغين (غالبا من الذكور وقليلا من الإناث) تجاه الأطفال ذكورا وإناثا، ويترجم هذا الاضطراب في أعراض وصور مختلفة تتفاوت من مجرد النظر بشهوة، أو اللمس المشبوه، أو التعرية للضحية، أو التعري أمامها، أو الاتصال الجنسي بشتى صوره، انظر: هشام قربان: ماهي البيدوفيليا، صحيفة الشروق، العدد رقم 463، بتاريخ 11-03-2013، ص 17.

20- جريس سالم بقاعين: دراسة سيكولوجية في زواج محمد من الطفلة عائشة، الحوار المتمدن، العدد 3236 ، يوم 04-01-2011 http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=240604

21 - الموقع نفسه

22- Michel Daedenne, l'islam Dévoilé ,p19.

23- Etienne Vermeersch : Il y a une vie après la religion . http://www.levif.be 04 juin 2010.

24- Michel Daedenne, Ibid,p22.

25- يعرف المعجم الأمريكي ويستر العربي بأنه(رجل حيواني، شهواني، قاتل سفاك الدماء، زير نساء، متسكع متشرد متسول غبي..)...

انظر: عبد القادر طاش: صورة الإسلام في الغرب، دط، القاهرة: الزهراء للإعلام الغربي، 1414هـ-1993م، ص75.

26-Michel Dardenne , Ibid,P160.

27- معجم افتراءات الغرب على الإسلام، ص 153.

28- فهد بن محمد بن محمد الغفيلي: السنا الوهاج في سن عائشة عند الزواج، ط1، الرياض: دار الصميعي، 1432هـ/2011م، ص 33.

29- منتديات صوت فلسطين، موسم التحامل على الرسول محمد ﷺ في الغرب.

30-http://Myislam.dk/articles/en/wood%20was-muhammad-a-pedophile.php

31- سورة الطلاق، الآية 04.

32-http://Myislam.dk/articles/en/wood%20was-muhammad-a-pedophile.php

33-Michel daedenne, l'islam Dévoilé ;p148.

34- وهو الرأي الذي ذهبت إليه أغلب كتب السنة والتاريخ الإسلامي.

انظر في ذلك: ابن حجر : الإصابة في تمييز الصحابة، تح: عادل أحمد عبد الموجود ، ط1، دار الكتب العلمية، 1415هـ، ج8، ص 231، و الذهبي: سير أعلام النبلاء، القاهرة: دار الحديث، 1427هـ-2006م، ج3، ص 428، والبيهقي: السنن الكبرى، ج6، ص203

35 - وهو الذي رجحه عباس محمود العقاد حيث يذكر أن السيدة عائشة لا تقل عند زفافها عن الثانية عشرة ولا تتجاوز الخامسة عشرة بكثير.

انظر: عباس محمود العقاد، الصديقة بنت الصديقة، ص37.

36 - Michel Daedenne , Ibid,p149.

37 -Michel Dardenne , Ibid , P148

38 -Ibid, P150.

39-Ibid, P152.

40- رواه البخاري، باب تزويج النبي عائشة، رقمه 3894، ج5، ص55، ومسلم : باب تزويج الأب البكر الصغيرة، رقمه 1422، ج2، ص1039.

41 - ابن حجر : الإصابة في تمييز الصحابة، تح: عادل أحمد عبد الموجود ، ط1، دار الكتب العلمية، 1415هـ، ج8، ص 231.

42- الذهبي: سير أعلام النبلاء، القاهرة: دار الحديث، 1427هـ-2006م، ج3، ص 428..

43- البيهقي: السنن الكبرى، ج6، ص203.
44- كارين أرمستروح: سيرة النبي محمد، ، ص237 .
45-المرجع نفسه، ص238.
46- أخرجه الترمذي في السنن ، باب ما جاء في إكراه اليتيمة على التزويج، رقمه 1109، تح: أحمد محمود شاكر، ط2، القاهرة: مصر، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى الحلبي، 1975م، ج3، ص 409.
47- الذهبي: سير أعلام النبلاء، تح: شعيب الأرناؤوط، ط3، دب: مؤسسة الرسالة، (1405هـ-1985م)، ج10، ص91..
48- البيهقي: السنن الكبرى، ط3، بيروت: لبنان، دار الكتب العلمية، (14 24هـ-2003م)، رقم الحديث (1588)، ج1، ص476.
49- ومسلم : باب تزويج الأب البكر الصغيرة، رقمه 1422، ج2، ص1039.
50-النسائي: السنن الصغرى، باب انكار الرجل ابنته الصغيرة، رقمه 3258 ، ج6، ص82.
51-النسائي: السنن الصغرى، البناء بابنة تسع، رقمه 3379 ، ج6، ص131.
52- ابن ماجة: سنن ابن ماجة، باب نكاح الصغار يزوجهن الآباء، رقمه 1877، تح: شغيب الأرناؤوط، ط1، دار الرسالة العالمية، 1430هـ-2009م، ج3، ص76 .
53 - الذهبي: ميزان الاعتدال، تح: علي محمد البجاوي ط1، بيروت: لبنان، دار المعرفة للطباعة والنشر، 1963م، ج4، ص301 .
54-عائشة عبد الرحمن: تراجم سيدات بنت النبوة، ص 290.
55- مصنف عبد الزاق: تح: حبيب الرحمن الأعظمي، منشورات المجلس العلمي، ط2، بيروت: المكتب الإسلامي ، 1983م، ج6، ص 963، حديث رقم 10354.
56- فهد بن محمد الغفيلي: السنا الوهاج، ص 288.
57- ويل ديورانت: قصة الحضارة، ج13، ص138.
58- ويل ديورانت: قصة الحضارة، ج13-14، ص 13
59- **التلمود**: Talmudهو مجموعة قواعد ووصايا وشرائع دينية وأدبية ومدنية وشروح وتفاسير وتعاليم، وروايات كانت تنقل وتدرس شفهيا ثم دونت بعد ذلك.
انظر: فكري جواد عبد: كتاب التلمود في الفكر اليهودي، مركز لدراسات الكوفة، جامعة الكوفة، العدد 6، 2007، ص 226.
60- زواج الرسول وتعامي المفترين الغرب، موقع صوت الفضيلة، صحيفة إلكترونية، 2010/06/09.
61 - **المشنا: Mashanh** هي لائحة قانونية وخلاصة القانون الشفهي الذي وضعه اليهود لأنفسهم بعد التوراة، جمعها يهوذا هانسي بين 190 و200.
انظر: ظفر الإسلام خان: التلمود: تاريخه وتعاليمه، ط8، دد، 1423هـ-2002م، ص12.

62- المشنا، ص111.

63 - J.Neusner Babylonia, The Talmud of Tractate Sanhedrine 1984, Vol, XIII , p150.

64- سفر الملوك الأول: 1 :3.

65 - ول ديورانت: قصة الحضارة، تر: زكي نجيب محمود، بيروت: تونس، دار الجيل، المنظمة العربية للتربية والثقافة، ،1408هـ، 1988م، ج16، ص182.

66- ول ديورانت: قصة الحضارة، ج21، ص 14.

67- المرجع نفسه، ص 111.

68-منى رشاد: البلوغ المبكر، مجلة الاقتصادية، العدد 5563.

انظر الموقع: http://www.aleqt.com/2009/01/03/article_186119.h.

69- فهد الغفيلي: السنا الوهاج في سن عائشة عند الزواج، ص272.

70 - ينظر هذا العنوان A9 year old thai g Irl give birth على الرابط www.Answering-christianity.com thai-girl.htm / .

71- انظر: جريدة الرياض الأحد 13جمادى الآخرة 1427هـ، 09 يوليو 2006م، العدد 13894.

72- موقع ويبيكيديا :

https://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%84%D9%8A%D9%86%D8%A7_%D9%85%D8%AF%D9%8A%D9%86%D8%A7

73- المرجع نفسه، ص272.

74-ملك غلام مرتضى: تعدد زوجات الرسول ﷺ، مجلة الجامعة الإسلامية المدينة المنورة، العدد59، ص157.

75- أخرجه الترمذي في سننه، أبواب المناقب، باب من فضل عَائِشَة رضي الله عنها، ج5، ص 705، رقم (3883)، وقال: "حديث حسن صحيح غريب"، وقال الألباني: "صحيح" ، انظر: مشكاة المصابيح 3، ج3، ص 1746 .

76 - أخرجه سعيد بن منصور: سنن سعيد بن منصور، باب من قطع ميراثا فرضه الله، تح: حبيب الرحمن الأعظمي، ط1، الهند الدار السلفية، 1403هـ-1982م، ج1، ص 118 ، وأخرجه الطبراني: المعجم الكبير، تح: حمدي بن عبد المجيد السلفي، ط2، القاهرة: مكتبة ابن تيمية، 1415هـ-1994م، ج23، ص 181. والدارمي : سنن الدارمي، تح: حسين سليم أسد الداراني، ط1، المملكة العربية السعودية، دار المغني للنشر والتوزيع، 1412هـ -2000م ، ج4، رقمه 2901، ص 1889.

77- ابن سعد :الطبقات الكبرى، تح: احسان عباس، ط1، بيروت: دار صادر، 1968، ج 2، ص 26.

78 -ملك غلام مرتضى: تعدد زوجات الرسول ﷺ، العدد59، ص157.

79- الحاكم: المستدرك ، ج4، ص91.

80 - أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى ، ج2، ص 286، والحديث ضعيف؛ لأن في سنده موسى بن محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي، قال عنه الذهبي : "ضعيف"، وقال ابن حجر: في تقريب التهذيب ص (553): "منكر الحديث".